

محطات من رحلات المغيلي

Stations of Al-Maghili's journeys

د. بلفرح عبد الرحمان

¹ جامعة أحمد بن بلة وهران-1 - الجزائر - belfarh322@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/04/22 تاريخ القبول: 2025/04/28 تاريخ النشر: 2025/05/15

ملخص:

كان الإمام المغيلي عالما ومجاهدا جزائريا، وله رحلات كثيرة ساهمت في نشر العلم والإصلاح الديني. وقد الإمام المغيلي رحلته إلى بجاية بهدف التدريس لنشر العلم والإصلاح الديني في تلك المدينة. بعد ذلك توجه إلى مدينة الجزائر (بني مزغنة)، حيث اجتهد على نشر تعاليم الإسلام ومحاربة الأفكار الدخيلة، كل ذلك من أجل إصلاح المجتمع من الناحية الدينية والفكرية في المنطقة. أما في منطقة توات فقد عرف بمواقفه الرافضة للفساد السياسي والديني، حيث قدم العديد من الفتاوى الإصلاحية التي تُظهر معرفته العميقة للشريعة، وعرف أيضا باتجاهه السلفي في الدعوة. كانت له أيضا رحلة إلى مدينة فاس لملاقاة العلماء، حيث استفاد من علمهم، وكانت له أيضا جولات في في كانو والرحلة إلى البقاع المقدسة من أجل أداء شعيرة الحج. كانت له وجهة أخرى إلى برقة ثم إلى أسبوط حيث التقى بالإمام السيوطي، وفي آخر المطاف عاد إلى بلاد توات بعد جولاته العلمية، وبعد عودته قاد المغيلي حركة معارضة ضد النشاطات اليهودية.

كلمات مفتاحية: الإمام المغيلي، الرحلة، نشر العلم والإصلاح، بجاية، البقاع المقدسة، توات، اليهود،

Abstract: Imam Al-Maghili was an Algerian scholar and Mujahid, and he made many trips that contributed to spreading knowledge and religious reform. Imam Al-Maghili made his journey to Bejaia with the aim of teaching to spread knowledge and religious reform in that city. After that, he went to the city of Algiers (Bani Mezghenna), where he worked hard to spread the teachings of Islam and fight foreign ideas, all in order to reform society from a religious and intellectual perspective in the region. As for the Touat region, he was known for his positions rejecting political and religious corruption, as he presented many reformist fatwas that

demonstrated his deep knowledge of Sharia, and he was also known for his Salafi orientation in preaching.

Keywords: Imam Al-Maghili, the journey, spreading knowledge and reform, Bejaia, the holy places, Touat, the Jews.

1. مقدمة:

يعد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من أبرز علماء المغرب الإسلامي في القرن الخامس عشر الميلادي، وكان له دور بارز في نشر العلم وتعاليم الإسلام، كما كان له دور بارز أيضاً في الإصلاح، ومن خلال هذه الورقة البحثية حول رحلات الإمام المغيلي تُطرح مجموعة من الإشكالات ومن أبرزها: ما هي الدوافع الأساسية وراء رحلاته وجولاته في مختلف البلدان الإسلامية؟ وكيف أثرت تحركاته على نشر الإسلام ونشاطه الإصلاحي؟.

تم الاعتماد على المنهج التاريخي لاستقراء وتحليل المصادر التاريخية التي تناولت رحلاته، إلى جانب المنهج الوصفي والتحليلي لفهم أبعاد تأثيره الفكري.

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم رؤية حول شخصية المغيلي ورحلاته، وأثرها على المجتمعات التي زارها من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية.

1. الرحلة إلى بجاية:

الحاضرة الثانية التي زارها الإمام المغيلي هي بجاية وبجاية كما يقول الإدريسي (560هـ) : « ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد. »

قال صاحب لقط الفرائد: « ولد - أي الإمام المغيلي - بتلمسان، ونشأ بها، ثم رحل منها بعد إلى بجاية وتمهر بها في العلوم على يد أبي العباس الوغليسي. »¹

والطريق من تلمسان إلى بجاية قد وصفه لنا الرحالة الشهير الإدريسي (560هـ) صاحب نزهة المشتاق تلمسان - في اختراق الآفاق، وهي من تلمسان -- قرية العلويين -- بابلوت - رحل

¹ . لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد (2/816)

الصفصاف — المعسكر - يليل . غزة (غليزان) - سوق إبراهيم - باجة - تنس - بني وازلفن — الخضراء —
مليانة -- جزائر بني مزغنة تامدقوس مرسى الدجاج - تدلس - بجاية .²

وهي الطريق نفسها في الاتجاه المعاكس، والتي ذكرها أديب الجزائر في القرن السابع الهجري: أبو
علي حسن بن الفكون .. هـ)

وجئت بجاية فجئت بدوراً.... يضيق بوصفها حرف الروي

وفي أرض الجزائر هام قلبي ... بمعسول المرافش كوثر

و في مليانة قد ذبت شوقاً.... بلين العطف والقلب القسي

وفي تنس نسيت جميل صبري ... وهمت بكل ذي وجه وضي

وفي مازونة ما زلت صباً... بوسنان المحاجر لودعي

وأبدت لي تلمسان بدوراً... حلين الشوق للقلب الخلي

كانت بجاية منذ تأسيسها حاضرة علم، فقد أشار الغربي إلى حجم العلماء المجتهدين الذين أقاموا بما فأورد
قولاً لأبي علي المسيلي (580هـ)، جاء فيه: "أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتياً، ما منهم من
يعرف الحسن بن علي المسيلي".³

وكان من ثمرة جهود علماء هذا البلد علامة بجاية أبو علي ناصر الدين المشدالي (المتوفى

731هـ)، الذي يقول عنه الإمام ابن خلدون « ارتحل من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر

الدين المشدالي (المتوفى 731هـ) وأدرك أصحاب ابن الحاجب، وأخذ عنهم وأقر تعليمهم، وقرأ مع شهاب

الدين القرافي في مجالس مختلفة، وحذق في العقلية والنقلية، ورجع إلى المغرب يعلم كثير، وتعليم مفيد

ونزل بجاية، وأصل سند تعليمه بطلبتها وربما انتقل إلى تلمسان عمران المشدالي من أصحابه، وأوطأها،

وبث طريقته فيها. وأصحابه لهذا العهد ببجاية وتلمسان». ⁴

² . الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص: 252 وما بعدها.

³ . أبي العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار الآفاق الجديدة، بيروت،

1979، ص: 36

⁴ . عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 342

وأوضحت سوق العلم بها نافقة ومجالس الدرس بها عامرة، فهذا عبد الواحد محمد بن الطواح (718هـ) عندما دخل بجاية تعجب من غزارة علم الغبريني (704هـ) وتلامذته وعلق بقوله : « فسمعت كلاما رائعا ورأيت لسانا ناطقا بالمعارف يحتاج من يحضر هذا الدرس إلى أن يعصب رأسه من قوة كلام «الأستاذ»⁵ ثم دخلها الإمام عبد الرحمن الثعالبي في أواخر القرن الثامن وسجل ما رأى فقال: « رحلت إلى بجاية فدخلتها عام (802هـ) اثنين وثمانين مائة فلقيت بما الأئمة المقتدى بهم في علمهم ودينهم وورعهم أصحاب الشيخ الفقيه الزاهد الورع أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي، وأصحاب الشيخ بن إدريس وهم يومئذ، متوافرون أهل ورع ووقوف مع الحدود، لا يعرفون الأمراء، ولا يخالطونهم، وسلك أتباعهم وطلبتهم مسلكهم رضي الله عن جميعهم»⁶

وقال في آخر تفسير سورة الشورى: رحلت في طلب العلم في أواخر القرن الثامن ودخلت بجاية في أوائل القرن التاسع فلقيت بما الأئمة المقتدى بهم أصحاب سيدي عبد الرحمن الوغليسي متوافرين فحضرت مجالسهم وكانت عمدة قراءتي بها على سيدي علي بن عثمان المانجلاتي رحمه الله بمسجد عين البربر .⁷

قال الإمام عبد الرحمن الثعالبي : « وقد سمعت من شيخنا أبي الحسن علي بن عثمان الزواوي المانجلاتي سيد علماء بجاية في وقته. »⁹⁸

وقد انتشرت بها مجالس العلم أيام دخول الإمام المغيلي، وقد استطعت أن أرصد بعض هذه المجالس من كتب التراجم فتحصل لدي ما يلي:

مجلس أبي الحسن علي بن محمد اليليتني البجائي (كان حيا سنة 830هـ)¹⁰

⁵ .عبد الواحد محمد الطواح، سبك المقال لفك العقال، تحقيق مسعود حبران، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص: 198.

⁶ . عبد الرحمن الثعالبي، غنيمة الوافد و بغية الطالب الماجد، دار ابن حزم، بيروت، 2005، -قسم الرحلة- ص: 108.

⁷ .عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق عمار طالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، (4/119).

⁸ .المرجع نفسه (119/4).

كان له درس في الأصلين¹¹

مجلس الشيخ الفقيه سليمان البوزيدي (845هـ) شيخ المدونة في وقته

قال القلصادي: « الفقيه الإمام العالم بمذهب الإمام مالك¹² وهو من علماء بجاية الكبار و قد لقبه الإمام عبد الرحمن الثعالبي حين دخولها فقال: « ومنهم شيخنا أبو الولي الفقيه أبو الربيع سليمان بن الحسن، وعليه كانت عمدة تجويد القرآن¹³، وانتقل إلى تلمسان، وكان له بها مجلس علم يدرس فيه المدونة. مجلس ابراهيم بن فائد بن موسى بن علال بن سعيد النبروني، الزواوي، النجار، القسنطيني الدار المالكي. (857هـ) عالم، فقيه، ولد في جبل جرجر، ثم انتقل إلى بجاية، وبرع في جميع العلوم، لا سيما الفقه، و عمل تفسيرا، وشرح الفية ابن مالك، وتلخيص المفتاح، وسماه تلخيص التلخيص، ومختصر خليل في ثلاث مجلدات سماه تسهيل السبيل المقتطف من أزهار روض خليل¹⁴.

مجلس الإمام أبي مهدي عيسى اليليلتي البجائي (861هـ)

قال الإمام المحاري (862هـ): (ومن قرأت عليه ببجاية الشيخ الفقيه المتفنن أبو مهدي رحمه الله سمعت عليه بعض جمل الخونجي وغيره¹⁵).

وقد اشتهر هذا الإمام بتدريس العربية، والمنطق، والأصول والميقات¹⁶.

مجلس الإمام أبي الفضل محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي البجائي الزواوي (865هـ)

اشتغل في الفنون على والده ومشايخ بلده في أنواع العلوم النقلية والعقلية واتسعت معارفه، وبرز على أقرانه بل وعلى مشايخه، وشاع ذكره، وملاأ اسمه الأسماع، وصار كلمة إجماع، كان أعجوبة الزمان في الحفظ، والذكاء، والفهم وتوقد الذهن.

¹¹ عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن السابع، دار الجميل، بيروت، 1992، (9/181)

¹² أبي الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص: 109

¹³ عبد الرحمن الثعالبي، غنيمة الوافد و بغية الطالب الماجد، قسم الرحلة، المصدر السابق، ص: 108.

¹⁴ عبد الرحمن السخاوي، المصدر السابق، (1/116)

¹⁵ أبي عبد الله المحاري، برنامج المحاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص: 137-138

¹⁶ عبد الرحمن السخاوي، المصدر السابق، (9/181)

قال عنه الإمام السخاوي: « حضرت درسه في فقه المالكية بجامعة الأزهر، وإن من لم يحضر درسه لم يحضر العلم، ولا سمع كلام العرب ولا رأى الناس، بل، ولا خرج إلى الوجود.

رحل من بجاية إلى تلمسان سنة (840هـ)، فالتقى بعلمائها وفي طليعتهم ابن مرزوق الحفيد (842هـ) ثم عاد إلى بجاية سنة (844هـ)، شرح جمل الخونجي شرحا بديعا .¹⁷

مجلس الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي الزواوي (866هـ)

قال التنبكتي في نيل الابتهاج (علامتها - أي بجاية، وإمامها، وخطيبها ومفتيها، وصالحها ومحققها الفقيه العلامة المحقق الناظر، الورع الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي الزواوي. خطب بالجامع الأعظم ببجاية، وتصدر فيه وفي غيره للتدريس وتخرج به ابنه وأئمة، وكان يضرب به المثل حتى يقال: أتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المشدالي.¹⁸

كان له مجلس علم يدرس فيه الصرف والنحو والأصليين والمعاني والبيان وعلوم الشرع التفسير والحديث والفقه.¹⁹

قال الإمام المجاري (862هـ): (ومن قرأت عليه ببجاية، الشيخ الكبير النظار أبو القاسم المشدالي تلميذ الإمام العلامة، الورع الزاهد أبي زيد عبد الرحمن الوغليسي رحمه قرأت عليه حظا وافرا من بيوع ابن الحاجب بالجامع الأعظم تفقها، وسمعت عليه بمدرسة أقرائه بعض تلخيص ابن البناء كذلك.²⁰ وألف تأليف جلييلة منها: تكملة حاشية أبي مهدي الوانوعي على المدونة ومختصر البيان لابن رشد.²¹ قال الونشريسي: توفي سنة ست وستين وثمان مئة (866هـ)، يعني أنه توفي قبل ابنه أبي الفضل.²²

مجلس الإمام أبي يعقوب يوسف الريفي البجائي (875هـ)

¹⁷ . نفس المصدر، (9/181)

¹⁸ . أحمد بابا التمكني، نيل الابتهاج بتطريز الابتهاج، دار الكاتب، طرابلس ليبيا، 2000، ص: 541

¹⁹ . عبد الرحمن السخاوي، المصدر السابق، (9/181)

²⁰ . أبي عبد الله المجاري، المرجع السابق، ص: 137-138

²¹ . أحمد بابا التمكني، المصدر السابق، ص: 541

²² . أحمد بن يحيى الونشريسي، وفيات الونشريسي، شركة نوايح الفكر، د س ط، (2/77) ضمن موسوعة أعلام المغرب

اشتهر بتدريس الصرف والعروض.²³

مجلس سليمان بن يوسف بن إبراهيم الحسناوي البجائي (887هـ)

قال أحمد بابا التنبكتي « تقدم في الفقه والأصلين والفرائض والحساب والمنطق كتب شرحا للمدونة وصنف في الفرائض والحساب والمنطق، وأشير إليه بالجلالة... وكان يصرح ببلوغ رتبة الاجتهاد، ومخالفة إمامه في كثير من الفروع. »²⁴

مجلس أبي بكر التلمساني (ت..هـ)

قال أحمد بابا التنبكتي: « كان إماما في الفرائض والحساب حسن الخط كثير التقييد، له مسائل في فنون، شرح تلخيص ابن البناء. »²⁵

كان له مجلس علم تدرس فيه العربية والمنطق والأصول والمليقات²⁶

مجلس أبي بكر بن عيسى الونشريسي (ت .. هـ)

اشتهر بتدريس المليقات.²⁷

مجلس يعقوب التيروني البجائي (ت .. هـ)

اشتهر بتدريس النحو.²⁸

مجلس أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر البجائي (ت .. هـ)

اشتهر بتدريس المنطق و النحو²⁹

²³ .المرجع نفسه (9/181)

²⁴ .أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص ص: 121-122

²⁵ . عبد الرحمن السخاوي، المصدر السابق، (9/181)

²⁶ . المصدر نفسه (9/181)

²⁷ . المصدر نفسه (9/181)

²⁸ . المصدر نفسه (9/181)

²⁹ . المصدر نفسه (9/181)

مجلس موسى بن إبراهيم الحسناوي البجائيت..هـ

اشتهر بتدريس الحساب³⁰

مجلس أبي الحسن علي بن إبراهيم الحسناوي البجائي (ت .. هـ)

برع في الأصلين أصول الدين و أصول الفقه³¹

مجلس أبي العباس الوغليسي (...هـ)

قال صاحب لقط الفرائد : « ولد - أي الإمام المغيلي - بتلمسان ونشأ بها، ثم رحل منها بعد حفظ

القرآن إلى بجاية وتمهر بها في العلوم على يد أبي العباس الوغليسي.³²

وقد حاولت جهدي في البحث عن ترجمة لهذا الإمام الذي تمهر على يده الإمام المغيلي، فلم أعثر له على ترجمة.

1. الرحلة إلى الجزائر المحروسة (جزائر بني مزغنة):

يقول الإدريسي: « ومدينة الجزائر على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة، ومن آبار وهي عامرة، أهلة وتجاراتها مربحة وأسواقها، قائمة وصناعاتها، نافقة ولها بادية كبيرة، وجبال فيها قبائل من البربر، وزراعاتهم الحنطة والشعير وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم ويتخذون النحل كثيرا، فلذلك العسل والسمن كثير في بلادهم، وربما يتجهز بهم إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم، والمتباعدة وأهلها قبائل ولهم حرمة مانعة.³³

ورصد الحياة الثقافية لمدينة الجزائر في تلك الفترة، يحتاج إلى جهد، وقد وجد مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي (1940م) من قبل صعوبة بالغة في الحديث عن الحياة الثقافية بها فقال: « وحياة الجزائر العلمية

³⁰ . المصدر نفسه (9/181)

³¹ . المصدر نفسه (9/181)

³² . لقط الفرائدة حقق الفوائد لأبي العبا أحمد بن محمد السابق الذكر الشهير بابن القاضي (1025 هـ)، وهو مطبوع

ضمن موسوعة أعلام المغرب (816/2)، (734/2)

³³ . الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص: 252

المتأثرة بما فيها وما حولها من العواصم يومئذ في حاجة إلى تأليف مستقل، ولم توف حتى اليوم حقها.³⁴ وقد وقفت على نص لابن خلدون يذكر فيه أن من الذين بثوا العلم بتلك المدينة ابني الإمام، يقول ابن خلدون في تاريخ العبر: «فأما ابنا الإمام فكانا أخوين من أهل برشك من أعمال تلمسان واسم أكبرهما أبو زيد عبد الرحمن (743هـ)، والأصغر أبو موسى عيسى (749هـ)، وكان أبوهما إماما ببعض مساجد برشك، وتهمه المتغلب يومئذ على البلد زيرم بن حماد بأن عنده وديعة من المال لبعض أعدائه، فطالبه بها، ولاذ بالامتناع، وبيته زيرم لينتزع المال من يده فدفعه وقتل وارثه ابنه هذان الأخوان إلى تونس آخر المائة السابعة، وأخذ العلم بما على تلاميذ ابن، زيتون وتفقهوا على أصحاب أبي عبد الله ابن شعيب الدكالي، وانقلبا إلى المغرب بحظ وافر من العلم، فأقاما بالجزائر ييثان العلم بها لامتناع برشك عليهما.³⁵

قال ابن فرحون في الديباج: «لهما التصانيف المفيدة، والعلوم النفيسة». ³⁶

ومن أشهر من تتلمذ عليهما، وسكن مدينة الجزائر الإمام محمد بن محمد بن حسن اليحصي البروني التلمساني قال ابن فرحون «استقر ببلد الجزائر، فقيه في المذهب موصوف بالعلم والإتقان، حاز رئاسة العلم في قطره حسن التعليم.... انفرد بمعرفة مختصر بن الحاجب الفقهي وله عليه شرح قارب إكماله. ³⁷» *

ثم حل بها الإمام العلامة المحدث الرحلة عبد الرحمن الثعالبي (875هـ) بعد رحلة طويلة في طلب العلم بالمشرق، ونشر بها فنون العلم.

دخل الإمام المغيلي مدينة الجزائر، فلقي بها مجالس العلم التي كان قطباها:

الإمام العلامة المحدث الرحلة عبد الرحمن الثعالبي (875هـ)

درس العلم، ببجاية، ورحل بعدها إلى المشرق ثم عاد بعلم غزير له مؤلفات كثيرة أهمها: «غنيمة الوافد. تتضمن ما فيها من الأسانيد والفوائد؛ فمن تأليفه المذكورة في الفهرسة: الجواهر الحسان في تفسير

³⁴ محمد بن مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، (2/167)

³⁵ عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان

الأكبر (7/517)، والبستان، ص: 125

³⁶ ابن فرحون، الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص: 152

³⁷ المرجع نفسه، ص: 4 340

القرآن، والجزء المتصل به من المراتي، والعجائب الدالة على بركته ومنها: روضة الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة ومنها: روضة الأنوار ونزهة الأخيار ومنها: الأنوار في معجزات النبي المختار صلى الله عليه وسلم ومنها: رياض الصالحين ومنها: التقاط الدرر ومنها الدرر الفائقة المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار و الدعوات ومنها : العلوم الفاخرة في النظر في أمور الدار الآخرة. ومنه: شرح ابن الفرعي. و الجامع الكبير الملحق به ومنه إرشاد السالك. قال وهو من أصغرها جرماً ومنه الأربعون حديثا المختارة. ومنه: المختار من الجوامع في محاذات الدرر اللوامع ومنها جامع الفوائد ومنها: جامع الأمهات في أحكام العبادات ومنها النصائح.³⁸

أخذ عنه الإمام المغيلي التفسير والحديث، والتصوف في مجالس علم يقول فيها الشيخ أحمد الزواوي الجزائري (884هـ)

بمجلسه نور ورائق لفظه*** ضياء نفيس الدر بل هو أرفع

فوائده تترى عليهم وكلها*** لها عند أهل العلم والفهم موقع

مجالس علم قد مضت فلو أنها*** تعود ولكن ما مضى ليس يرجع

نتيجة إخلاص وصدق كأنها*** سهام ولكن يرمي القلوب فتحشع³⁹

مجلس الشيخ أحمد بن عبدالله الزواوي الجزائري (884هـ)

قال أحمد بابا التنبكتي « الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو العباس ظريف العارفين. »

ونقل عن بعض العلماء أنه قال: « هو نظير أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي علما وعملا. »

وقال تلميذه الشيخ أحمد زروق البرنسي: « كان من أعظم العلماء اتباعا للسنة، وأكبرهم حالا

في الورع . »⁴⁰

³⁸ . غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد تحقيق محمد شايب شريف ، ص: 28 دار ابن حزم (2005) بيروت

³⁹ . تعريف الخلف برجال السلف للشيخ أبي القاسم محمد بن الشيخ الحفناوي (1360هـ - 1941م)، طبع بمطبعة بيزر فونتانة الشرقية بالجزائر سنة (1324هـ - 1906م)

⁴⁰ . نيل الابتهاج ص:

ولما رضي الشيخ الثعالبي دينه وخلقه زوجه ابنته زينب فأنجب منها ثلاثة أولاد، هم: عبد الله، و علي ومحمد عبد الجبار .⁴¹

وأخذ عنه أوراود الطريقة القادرية التي نشرها فيما بعد تلامذته بأصقاع إفريقيا، وكان لها فضل في انتشار الإسلام.

3. الرحلة إلى بلاد توات:

جاء في كتاب درة الأعلام لمحمد بن عبد الكريم البكراوي: « توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جوفاء، وغربا عشرون يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرون يوما، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا، ومن ناحية أولاد سيدي عيسى مقدار أسبوع إسرعا لبلد الأبيض سيدي الشيخ، وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا، قصر أوسطهما بودة وتيمي وتمنطيط»⁴²

لم تذكر كتب التراجم سبب انتقال الإمام المغيلي إلى هذا الإقليم قد يكون ذلك لظلم الحكام بتلمسان أو أنها وصية من الإمام الثعالبي بالتوجه إلى إقليم توات لنشر العلم، يقول ابن عسكر: « فاستقر ببلاد توات من الصحراء و نشر العلم هنالك. »⁴³

ولقي هناك مجالس علم منها :

مجلس أبي زكريا يحيى بن يدير بن عتيق التندلسي (ت 877هـ)

ذكر صاحب تاريخ الفتاش أن نسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال أحمد بابا التنبكي: « الفقيه العالم العلامة قاضي توات أخذ عن الإمام ابن زاغو وغيره، وعنه الشيخ عبد الكريم المغيلي، توفي بقسنطينة يوم الجمعة قبل الزوال عاشر صفر عام سبعة وسبعين وثمانمائة، كذا وجدته يخط تلميذه ابن عبد الكريم المغيلي. »

⁴¹ . الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية مبروك مقدم، ص: 43 الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي ص: 13

⁴² مخطوط درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري ص: 33.

⁴³ . دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن عسكر الشفشاوني (986هـ)، تحقيق:

محمد حججي. (1397هـ - 1977م) مصورة بالأوقسيط. ص: 130-132 ، الترجمة رقم: 132.

مجلس القاضي أبي محمد عبد الله بن أبي بكر العصوني أو العصموني، التلمساني (كان حيا سنة 914هـ)

قال صاحب البسيط في أخبار تمطيط : « رأيت في بعض التقايد أن عصنون الذي ينتسبون إليه هو أخو جدهم فانتسبوا إليه ، لشهرته وذلك جائز عند العرب . »⁴⁴

تشير المصادر إلى أن حلول هذا العلم بمنطقة توات كان سنة اثنين أو ثلاث وستين وثمانمائة، لكن هذا التردد قد أوضحه الأستاذ عبد الرحمن بعثمان فقال : « أن الشيخ العصوني نزل أولا بقصر بني تامرت سنة 862 هـ ثم ارتحل منها إلى مدينة تمنطيط عاصمة الإقليم التواتي آنذاك سنة 863 هـ*⁴⁵ لا تذكر المصادر التي اطلعت عليها إلا شيخا واحدا للعصوني وهو سيدي يحيى بن يدير الذي تقدمت ترجمته .

أما عن تاريخ وفاته فلم تذكر المصادر القديمة ذلك، وذكر صاحب البسيط أنه كان حيا عند تولي القضاء من ابن أخيه، وكان ذلك سنة أربعة عشر وتسعمائة 914 هـ.⁴⁶

ثم وقفت على كتاب الحركة الفكرية في المغرب أيام السعديين للدكتور محمد حجي ، فذكر أنه توفي سنة (927 هـ)⁴⁷ هو الذي ترأس أحد أطراف السجال الفقهي الثقافي فيما يعرف في المعيار بنازلة يهود توات، ضد الطرف الثاني الذي قاده الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي رحمهم الله أجمعين.

و يبدو والله أعلم أن بلاد توات لم تكن حاضرة علمية إذا ما قورنت ببجاية أو تلمسان أو فاس، فقد جاء في مراسلات الإمام المغيلي للسنوسي: « أما بعد أعاننا الله وإياكم على رعاية وداعة وحفظ ما أودعنا من شرائعه فانه بلغني كتابكم الكريم بخير عظيم فنسال الله تعالى، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يحفظكم في دينكم ودنياكم وأهلكم وذريعتكم وكل من حفته رعايتكم، وأن يبارك لكم في جميع ما أنعم به

44 . نيل الابتهاج ص: 637

45 . البسيط في أخبار تمطيط لمحمد بابا حيدة، ص: 20

46 . التأثير النقابي الفكري الحاضرة تلمسان على توات في القرن 9 هـ من خلال نوازل الونشريسي - نازلة يهود توات

أمودجا ص: 227

47 . البسيط في أخبار تمطيط لمحمد بابا حيدة، ص: 20-30

عليكم من نعمه الباطنة والظاهرة في الدنيا والآخرة وقد بلغني على حين اشتغال بارتحال، مع كثرة الاشغال وثقل العيال ومصادفة الأهوال والأغوال بين قوم جهال في عصر الضلال»⁴⁸

4. الثورة الأولى ضد اليهود:

إن أول ما يتبادر إلى الذهن عندما نتكلم عن المغيلي ببلاد توات تلك المعركة الشرسة التي خاضها ضد خصومه اليهود، ووقوفه ضدهم، وقبل ذلك علينا أنقف برهة على أحوال اليهود بالمغرب زمن الإمام المغيلي.

تكاثر اليهود بعد سقوط مملكة غرناطة ن حيث كانت محاكم التفتيش الإسبانية تمارس الاضطهاد ضد المسلمين واليهود معا، فقد كانت تنظر إليهم على أنهم مارقون من الديانة الكاثوليكية، وقد تنصر الكثير من اليهود في تلك الفترة، ولكن السلطات زادت السلطات زادت من الاضطهاد في تلك الفترة؛ لأنها اعتبرتهم منافقين، انتهازيين وهم أكثر شرا على البلاد من اليهود الباقين على يهوديتهم فلا حقوقهم بأنواع التضيق والتعذيب، وأحرقوا منهم الآلاف.

لذا كانت موجات الهجرة من الأندلس تقذف بمجموعات من المسلمين واليهود خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين إلى بلاد المغرب وانتشر اليهود في مدن المغرب وقراه من أقصى الشمال إلى تخوم الصحراء، وكما هي عادة اليهود فقد استوطنوا المراكز التجارية، وتحكموا في طرق القوافل التي كانت تجارها الراجحة هي الذهب و الملح فاشتغلوا، بالتجارة وضرب الحلبي والنقود.

ولما كانوا على جانب كبير من الثقافة ومعرفة اللغات الأجنبية، فقد أداروا كثيرا من معامل السكر التي أقامتها دولة بني زيان بالمغرب الأوسط، والدولة الوطاسية ببلاد المغرب الأقصى، وقاموا بأدوار الوساطة في الأعمال التجارية بين مختلف الشعوب، لا سيما العربية منها والبربرية والسودانية وتقربوا بذلك من ذوي الشوكة من الأمراء والسلاطين، وقاموا بدور الوساطة في افتكاك الأسرى.

وقد فتح هذا الوضع أمامهم مجالات واسعة للاتصال بالطبقة الحاكمة في داخل المغرب وخارجه، وتكوين الثروات الطائلة.⁴⁹

48 . المراجعات بين الإمام المغيلي والإمام السنوسي، ص: 189 نشرها علمي حمدان أحمد محلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد الثالث: (1408هـ - 1988م) فاس - المغرب.

وأقوى دليل على ذلك تولي اليهوديين هارون وشاويل من طرف السلطان عبد الحق بن أبي 27 رمضان 869هـ ، لوزارة الدولة، فأخذوا في ضرب المسلمين عامة وفقهاء، وسلبوا الأموال، وأفسدوا في الأرض على طريقتهم المعروفة في التاريخ.⁵⁰

وقد ذكر الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد العقباني التلمساني (871هـ) في تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر ، الكثير من مظاهر العلو اليهودي، مما ذكره باختصار، سقوط الجزية⁵¹ اغتصاب الحرية المسلمة⁵²، التطلع على عورات المسلمين⁵³، اعلانهم المناكر كشرب الخمر، وأكل الربا ، التظاهر بمشاكل المسلمين في الملبس والمركوب⁵⁴، بنائهم للكنائس في بلاد المسلمين ، بناء دورهم داخل دور المسلمين⁵⁵ ، الاستهانة بالمسلمين و بشعائر دينهم⁵⁶

وهي مظاهر كلها دالة على نقض العهد، والمروق من عهدة المواثيق والشروط.

وقد عاصر الإمام المغيلي هذه الفترة، ولاحظ هذا العلو اليهودي، و رأى من المسلمين تساهلا معهم حتى كانوا يقربوهم من النفس والعيال ويستعملونهم في الأعمال، فأعلن موقفه من هذه المظاهر، يقول ابن عسكر في دوحة النشر "وكان يرى ان اليهود لعنهم الله، لا ذمة لهم؛ لانتقاضها لتعلقهم بأرباب الشوكة من المسلمين المنافي للذلة و الصغار المشروط في أداء الجزية، وأن نقض بعضهم لازم لكلهم، وأباح

⁴⁹ . الحركة الفكرية في عهد السعديين للدكتور محمد حجي، (1/267-270) مطبعة فضالة (1398هـ - 1978م)

المغرب، المغرب في عهد الدولة السعدية لعبد الكريم الكريم ص: 292، الطبعة الأولى (1398هـ - 1978م) الرباط.

⁵⁰ . الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (4/98) تعليق ولدي المؤلف : جعفر

الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب (1955م)، الدار البيضاء، المغرب.

⁵¹ . تحفة الناظر ص: 159

⁵² . المرجع نفسه، ص: 160

⁵³ . المرجع نفسه، ص: 179

⁵⁴ . المرجع نفسه، ص: 165

⁵⁵ . المرجع نفسه، ص: 167

⁵⁶ . المرجع نفسه، ص: 171

دمائهم وأموالهم، وجعل الاعتناء بهم أهم من الاعتناء بغيرهم من الكفار ، وألف في ذلك تأليفا وجه فيه رسائل. ⁵⁷»

وكتب الإمام المغيلي موقفه بعدما سئل عن هذا الوضع في رسالته « فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية ،والصغار، وما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلدان من والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان. »

فقد جاء في مقدمة الرسالة: « فقد سألتني بعض الأخيار . »

وهي رسالة يدل عنوانها على الحال التي ذكرها معاصره الإمام العقباني (871هـ) كما مر .

وقد عارضه بسبب ذلك قاضي البلاد، الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني أو العصموني التلمساني (كان حيا سنة 914هـ)، وأطلق عليه لقب «المشاغب . »، يقول العصنوني -رحمه علينا فيها المغيلي، وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة. ⁵⁸ و وصل كتابه إلى مدينة فاس، فعلق عليه فقيهها ابن غازي المكناسي (919هـ) - تقریظا - : «هذا كتاب جليل، صدر عن نص عليل وعلم بالصواب كفيل، وصاحبه غريب في هذا الجليل، بيد أنه أطلق الكفر على التضليل. ⁵⁹»

ووصل الكتاب إلى مدينة تلمسان فكتب عليه الإمام ابن زكري التلمساني (899هـ) جوابا فقال: « قد وردت علي أسئلتك وأنا مشغول البال من أجل كثرة الأشغال ووردت على أثرها ، كتاب وسؤال من قبل المغيلي طالبا الجواب في قضية الكنائس التي سألت عنها . ⁶⁰»

وأغلظ له القول قائلا: « هدم الكنائس المسئول عنها ، لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية، على رأي المحققين في الفقه المالكي، الناظرين به في القضية والتشغيب فيها من عدم التحقيق في أصول المسائل

⁵⁷ .دوحة الناشر محاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن عسكر الشفشراوي (986 هـ)، تحقيق :

محمد حجي .الطبعة الثانية (1397 هـ-1977م) مصورة بالاوفسيط ص : 130-132 ،الترجمة رقم 132.

⁵⁸ . المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى

بفاس سنة (914هـ)، (2/214) خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي نشر وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية للمملكة المغربية (1401هـ-1981م)

⁵⁹ . دوحة الناشر ص 130 - 131

⁶⁰ . المعيار للإمام الونشريسي (2/228)

العلمية فيغتر المشغب في المسألة بظاهر عمومات هي، مخصوصة، وكذلك المطلقات من النصوص وهي مقيدات. ⁶¹»

وكان رأي الإمام يحيى بن عبد الله بن أبي البركات قريباً من رأي ابن زكري، فإنه قال: «يجب أن يضرب على يد القائم - أي المغيلي، ولا يمكنه من هذا الغرض.»، و «هدم الكنائس حرام لا يسوغ شرعاً.. والمعتز لذلك عاص». ⁶²

وتبعهم الإمام عبد الرحمن بن سعيد فقال: «لا ينبغي التتبع والتعمق، والتشديد، والتشغيب على الناس فيما أقره العلماء، وعمل به السلف. ⁶³» و «من أجاب في المسألة الرصاع مفتي تونس وأبو مهدي الماواسي مفتي، فاس والقاضي أبو زكرياء يحيى بن أبي البركات الغماري، وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان، وأبو عبد الله التنسي - رحمهم الله الله جميعاً. ⁶⁴

وقد رد عليهم بالكيل مثله الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي بجواب طويل، نقل فيه نصوصاً وأقوالاً للعلماء ثم قال: «ولا ينكر النصوص المقتضية لذلك - أي الهدم، ويدفع في نحرها إلا من هو مكذب للشريعة ساع في هدمها أعاذنا الله من الخذلان والمروق عن دين المبعوث من خير بيت في معد بن عدنان. ⁶⁵»

و مما قال الامام السنوسي تعليقا على جواب التنسي، وموقف المغيلي: «من عبىء الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الاسلامية و عمارة القلب بالإيمان السيد أبي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله حياته وبارك في دينه وديناه وختم لنا و له ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه بعد السلام عليكم و رحمة الله وبركاته فقد بلغني

⁶¹ . المعيار (2/218)

⁶² . المعيار (2/231)

⁶³ . المعيار (232-2/231)

⁶⁴ . المعيار (253-2/214)

⁶⁵ . المعيار (2/252)

أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلم الله كنيسة في بلاد الاسلام و حرصكم على هدمها وتوقف أهل المنظية فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء فبعثتم إلينا مستنهضين هم العلماء فيه فلم أر من وفق لإجابة المقصد و بذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة و لم يلتفت لقوة إيمانه و نصوع إيقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني من مداينة من يتقي شوكته سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ المحقق علم الأعلام أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي أمتع الله به " 66

قال صاحب نيل الابتهاج: « وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي لتوات أمر صاحب الترجمة جماعته فلبسوا آلات الحرب و قصدوا كنائسهم و أمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها، ولم يتناطح فيه عتران ثم قال لهم من قتل يهوديا فله علي سبع مثاقيل وجرى في ذلك أمور فنظم في تلك القضية قصائد في مدح النبي صلى الله عليه و سلم و ذم اليهود ومن ينصر اليهود . »⁶⁷

وإذا كان هذا هو رأي الإمام المغيلي، فإن الفقهاء المعارضين له، الذين رأوا في فتواه تشغيبا، صدروا عن وجهة نظر فقهية محضة، آخذين بعين الاعتبار ظاهرة الكنائس والبيع غاضين الطرف عن وضع اليهود ودورهم في مجتمعات تلك الحقبة من الزمن.

إن هذا الاختلاف في هذه المسألة، كانت له دوافعه وأسبابه وظروفه المحيطة به، فقد كان منظور المغيلي ومؤيدوه منظورا شموليا، يجمع كل ملابسات الحادثة، بينما كان رأي معارضيه نظرا جزئيا، ولذلك جرى الخلاف، وكان له أثر كبير في حياة اليهود فيما بعد يقول ابن عسكر : « وبلغت دعوته إلى بلاد السودان فأسلم على يده سلطان تيمبكتو أو أهل عمله و حسن اسلامهم فهي على حالة حسنة إلى هذا العهد والاسلام في بلادهم غض و شعائره مستجدة و ملكهم على الغاية في تعظيم العلم و العلماء و اجلال أهل البيت و اكرام الغرباء و اليهود لا يدخلون بلادهم و لا سائر بلاد الصحراء حيث يظهر اليهودي هنالك يقتل و يستباح ، ماله وكل من يحمل مال اليهود للتجارة يستباح ماله معه بناء على مذهب الشيخ ووصيته إلى الآن " 68

66 . المعيار (2/218) و نيل الابتهاج ص: 331

67 . نيل الابتهاج ص: 331

68 . دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ص: 132

5. الرحلة إلى مدينة فاس:

قال ابن عسكر : « ولما اختلف الفقهاء عليه قدم على فاس لأجل المناظرة بحضرة السلطان الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي ثم المريني فلما نزل بظاهر فاس خرج الفقهاء إلى لقائه و السلام عليه وكان له ستة مماليك من السودان كلهم يحفظون مدونة البرادعي عن ظواهر قلوبهم و كلهم فقهاء فلما استقر الجلوس بفقهاء فاس عنده قال لأحد المماليك اسمه ميمون تكلم مع الفقهاء في نازلة اليهود فأنف الفقهاء من الكلام مع المملوك و فلما كان الغد ركبوا إلى السلطان وقالوا له لأجل المنافسة المركبة في الجنس إن هذا الرجل إنما مراده الظهور ور و الملك، وليس مراده الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. فلما دخل عليه الشيخ المغيلي ولقيه تكلم معه على مضرة الدين و مسألة اليهود و غيرها قال له السلطان : إنما أنت عاقل على هذه الديار يعني دار الملك و ليس لك قدر عليها قال الشيخ المغيلي : والله ما هي عندي إلا هي والكنيف سيان، ثم خرج عنه و لم يعد إليه . »⁶⁹

العودة إلى توات

قال ابن عسكر : « ثم هاجر إلى الصحراء، وعاهد الله تعالى أن لا يلقي سلطانا أبدا، فاستقر ببلاد توات من الصحراء، ونشر العلم هنالك . »⁷⁰

الرحلة إلى بلاد السودان الغربي

قال الإمام المغيلي والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى والكفر، وأصلهم كان ذلك.

العالم الشيخ عمر بن محمد أقيت الصنهاجي الماسني التنبكتي كان حيا سنة 873هـ)

قال صاحب فتح الشكور : كان رحمه الله فقيها عالما صالحا رحل إلى ولاته لما رحل إليها فقهاء سنكوري من أجل خوفهم من الظالم الفاجر سن علي لما دخل تنبكت فر رابع رجب أو خامسه عام (873هـ) «⁷¹، توفي في تازخت

الفقيه العلامة أحمد بن عمر بن أقيت الصنهاجي التنبكتي (943هـ)

⁶⁹ . المرجع نفسه، ص: 132

⁷⁰ . المرجع نفسه، ص: 131

⁷¹ . فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص: 178

قال صاحب فتح الشكور : « كان من أهل الخير والفضل والعلم والدين محافظاً على السنة والمروءة ... فقيهاً نحويًا ، أصوليًا ، لغويًا ، عروضيًا ، حجج عام تسعين وثمانمائة ولقي الجلال السيوطي ، والشيخ خالد الأزهرى إمام النحو ، وغيرهما من أهل بلاد السودان ودرس العلم وأفاد ، وانتفع به جمع كثير . »⁷²
كان له مجلس علم في تدريس المدونة وغيرها.

– الفقيه اندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح التنبكي (؟..)

قال صاحب فتح الشكور : « كان فقيهاً ، تولى القضاء بتنبكت في أواسط القرن التاسع ، عاصر – والله الله تعالى ، وهو أول من خدم العلم من أجداد سيدي أحمد بابا رحمه تعالى أعلم – سيدي يحيى التادلسي رحمه الله تعالى . »⁷³.

محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي التنبكي (955هـ)

قال صاحب انفاق الميسور قاضيهما ، أبو الثناء ، وأبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ، ومدرسها وفقهها بلا مدافع اشتهر علمه وصلاحه في البلاد ، وطار صيته في الأقطار شرقاً وغرباً ، وظهرت بركته إلى ديانة وصلاح وزهد ونزاهة ، لا يخاف لومة لائم ، هابته الخلق كلهم ، السلاطين ومن دونهم ، فصاروا تحت أمره ولي القضاء عام أربعة عشر وتسعمائة فسد في الأمور وشد ، وتوخى الحق ودرأ الباطل وهدد مع ملازمته التدريس واللفقه من فيه حلاوة ، وطلاوة سهل العبادة بلا تكلف حسن التكرار ، فانتفع به كثيرون ، وحى العلم ، ببلاده ، وكثر طلبة ، الفقه ، ونجب جماعة منهم .

وأكثر ما يقرءون المدونة والرسالة ومختصر خليل والألفية والسلالجية وعنده انتشر قراء خليل هناك ، وقيد عليه ، تقاييد أبرزها بعضهم في سفرين وحج عام خمسة عشر وتسعمائة ، فلقي السادة الأجلاء توفي في سنة خمس وخمسين ليلة الجمعة سادس عشر ، رمضان وبلغ من الجلالة وتعظيم الناس له ، وشهرة الذكر بالصالح مبلغاً لم ينله غيره . »

وأنكر على الإمام المغيلي حينما أمر السلطان محمد الحاج أسقيا بالقبض على أهل توات الذين بكأغو لما بلغه مقتل ابنه إذ لم يفعلوا شيئاً فرجع عن ذلك وأمر بإطلاقهم.⁷⁴

⁷² . فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص: 27-28

⁷³ . فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص: 112

6. الدخول إلى إقليم آهير أو أير:

قال صاحب نيل الابتهاج: « ثم دخل بلاد آهير. »⁷⁵

وبلاد آهير Air ، تقع الآن شمال النيجر وهي بلاد واسعة وقيعان ممتدة يعمرها التوارك، وبقايا صنهاجة، وبقايا السودان، استولى عليه الحاج محمد أسكيا سنة (924هـ)⁷⁶

وكانت لهم عادات من أقبحها أن طائفة منهم لا يتوارثون على مقتضى الكتاب والسنة، وإنما يرث عندهم ابن الأخت.

ومن عوائدهم القبيحة المخالفة للشريعة عدم القصاص على مقتضى الكتاب والسنة، فإذا قتل منهم قتيلا قتلوا من قبيلة القاتل نفساً، كما كان الأولون يفعلون.

ومن عوائدهم الذميمة عزل السلطان بغير موجب شرعي، حتى أدى إلى ضعف سلطنتهم، وانتشار الحراة في بلدتهم، حتى لا يكاد تنضبط أمورهم. البتة. ومنها غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى. فتزل الإمام المغيلي بلادهم فدرس، وعلم، وأمر ونهى وبث العلوم التي أخذها عن شيوخه، والكتب التي بلاده، وانتشر الإسلام في هذا الإقليم، وظهر في أهله البركة والخير كثيراً، وكان منهم والأولياء ممن لا يحصيهم إلا الله ، وضاعوا لعدم تسجيل التاريخ في هذه البلاد.

7. الدخول إلى بلاد تكدة:

قال صاحب نيل الابتهاج « ودخل بلاد تكدة، واجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به. »⁷⁷

وبلاد تكدا أو تكدة Takeda عبارة عن مركز مهم في طريق القوافل بين مصر ومالي⁷⁸، واجتمع بصاحبها، وأقرأ أهلها، وانتفعوا به، ومن نبغ على يديه بتلك البلاد العالمان الجليلان:

⁷⁴ . نيل الابتهاج ص: 331

⁷⁵ . نيل الابتهاج ص: 331

⁷⁶ . تاريخ الدول الإسلامية بإفريقيا الغربية لعبد الرحمن زكي، ص: 128-129 82-84 /the burno sahra
:palmer p

⁷⁷ . نيل الابتهاج ص: 331

⁷⁸ . تاريخ الدول الإسلامية ص: 169

أ- القاضي محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي (936هـ)

قال صاحب نيل الابتهاج « وقرأ ببلده على جده الفقيه الحاج أحمد بن عمر وعلى خاله الفقيه الصالح علي، ولقي بتكدة الإمام المغيلي وحضر دروسه. »⁷⁹
من تأليفه تقايد و طرر على مختصر الشيخ خليل.

ب- الأستاذ الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمي المصوفي

قال صاحب نيل الابتهاج: « فقيه نبيه ذكي الفهم وقاد، الذهن مشغول بالعلم في لسانه ذراية، له تعاليق، من أحسنها كلامه على قول خليل وخصصت نية الخالف... أخذ عن المغيلي والجلال السيوطي، وغيرهما ».⁸⁰

8. الرحلة إلى كانو:

قال صاحب نيل الابتهاج: « ثم دخل بلاد، كنو وكشن من بلاد، السودان واجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه، وكتب رسالة في أمور السلطنة يحضه على اتباع الشرع وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده ».⁸¹

وكانو Kano، هي عاصمة نيجيريا الآن، دخلها الإمام المغيلي، واجتمع بسلطانها أبو عبد الله محمد ابن يعقوب المعروف بمحمد رنفا، والذي حكم تلك البلاد في الفترة من سنة (867هـ إلى غاية 904هـ)، وقد كتب رسالته المشهورة في أمور السلطنة.⁸²

ولرسوخ علمه فقد ولاه السلطان مهمة القضاء والإفتاء بكانو، وأخذ عنه علماؤها، واستفاد منه الناس كثيرا.⁸³

⁷⁹ . نيل الابتهاج ص: 335

⁸⁰ . نيل الابتهاج ص: 217-218

⁸¹ . نيل الابتهاج ص: 331

⁸² . انظر ص: من هذا البحث

⁸³ . محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ) دراسة تاريخية بليبوغرافيا فراج عطا سالم مجلة عالم الكتب (1410هـ -

1990م) ص : 345

وأسس مدرسة شرعية هذه المدينة، ساهمت مساهمة كبيرة في نشر الإسلام. لا زالت نيجيريا إلى يوم تشهد هذا الإنجاز.⁸⁴

قال الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادني - وهو من مدينة كانو - متحدثاً عن زيارة المغيلي: « ولقد كان لهذه الزيارة التي قام بها المغيلي إلى كانو صدى كبيراً، ونتائج عظيمة تركت أثراً واضحاً لا في كانو فحسب، ولكن في ولايات الهوسا جميعاً؛ لأن انتشار الإسلام في كانو أدّى إلى انتشاره في الولايات الأخرى [من نيجيريا] ، ومن ذلك الوقت نستطيع أن نقول: إن ولاية كانو أصبحت ولاية إسلامية حقاً، وبدأت بعدئذ تلعب دوراً هائلاً في خدمة الثقافة الإسلامية في الولايات الأخرى.⁸⁵

ويذكر هذا المؤلف إضافة إلى ذلك بأن أحفاد المغيلي في "كانو" ما يزالون إلى اليوم يحضرون مجلس أمير كانو، ويكونون في حاشيته.⁸⁶

هذا وتذهب بعض البيانات والحقائق إلى أن الإمام المغيلي قد ظل نجمه لامعاً في كانو خلال السنوات الأخيرة لحكم محمد، رنفا، والسنوات الأولى لحكم خليفته عبد الله (904هـ - 914هـ)

9. الرحلة إلى بلاد كشن:

قال صاحب نيل الابتهاج « ثم دخل بلاد كنو، وكشن من بلاد السودان.⁸⁷

وتسمى الآن "ب" كاتسينا، وهي مدينة في شمال نيجيريا حالياً، وقد دخلها المغيلي سنة (898هـ - 1493م) وقد ظل بها مدة طويلة وأفاد أهلها، وتأثر به السلطان محمد كورا، والذي كان أول حاكم مسلم ظل في الحكم لمدة خمسين سنة شن الحرب فيها على ممالك النوب المتاخمة في ذلك الوقت لحدود كاتسينا، واهتدى للإسلام وتأثر أشد التأثر بتعاليم الإمام المغيلي.⁸⁸

10. الرحلة إلى البقاع المقدسة:

⁸⁴ . مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المدينة المنورة المجلد 2 ، العدد 2 :السنة 1969م، مقال كتبه

⁸⁵ . حركة اللغة العربية وآدائها في نيجيريا د شيخو أحمد غلاد نتي، ص. 42 ، الطبعة الثانية ، شركة العبيكان 1414هـ - 1993م) الرياض.

⁸⁶ . المرجع نفسه ص: 121

⁸⁷ . نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتبكي ص: 332

⁸⁸ . محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ) دراسة تاريخية ببلوغرافيا فراج عطا سالم مجلة عالم الكتب، ص: 345

لم يشر صاحب نيل الابتهاج إلى هذه الرحلة وأول من ذكرها أبو العباس أحمد القاضي (1025هـ) في كتابه لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، ناقلا لها من كتاب الإرشاد، وهو لأحد الكتبيين لم أقف على اسمه، ثم ذكرها الشيخ محمد بن المختار الكنتي (1242هـ) صاحب كتاب الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة، والوالد كما ذكرها أيضا الإمام العباس بن إبراهيم السملالي (1378هـ)، وقد نقلها من كتاب للشيخ محمد بن المختار الكنتي (1242هـ)، يسمى التوحيد، وقد اخترت لها هذا الموضع لكونه ذكرها بعد اجتماع المغيلي بالسلطان محمد الحاج أسكيا.

11. الرحلة إلى برقة:

قال صاحب التلائد والطرائف : « في تلك المدة توجهنا إلى المشرق، فلما بلغا برقة إذا رئيس عربها قد تزوج بر بيته فبلغ ذلك الشيخ فتوجه إليه فلما رآه، وبخه وقال يا ملعون خالفت الكتاب والسنة وإجماع الأمة بما فعلت فحمل عليه ليطعنه برمحه فأشار إليه الشيخ بأصبعه فطار رأسه عن جثته بمجرد إشارة الشيخ . »⁸⁹

12. الرحلة إلى أسيوط، واللقاء مع الإمام السيوطي:

قال صاحب التلائد والطرائف: «فسارا إلى وجهتهما حتى بلغا قرية أسيوطة وهي على شاطئ بحر الروم من جهة برقة فوجدا فيها الشيخ الكامل السيد عبد الرحمان السيوطي فسألهما عن مقدمهما وما رأيا في طريقهما ؟

فأخبره الشيخ المغيلي بما وقع بينه وبين رئيس عرب برقة وموته على يديه بإذن الله تعالى فلم يلبثوا أن رأوا الطلب يريدان فأفرع ذلك السيوطي فقال إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال له سيدي محمد بن عبد الكريم: أتظن يا عبد الرحمان أنا جئنا مستغيثين بك أو ملتجئين إليك ؟ فلو شئت لألقيت قرينك هذه في البحر المحيط.

⁸⁹ . الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد للشيخ محمد بن المختار الكنتي (1242هـ) تحقيق شفيق أرفاك،

ص: 19، بحث لنيل لفاظة حقق الفوائد لأبي العباس دبلوم الدراسات العليا ، الرباط 1992م، و لقط الفرائد من

(1025 هـ)، وهو مطبوع ضمن موسوعة أعلام المغرب (94-2/939)

ثم خرجا إلى الطلب وأشار إلى الأرض فانشتت الأرض من بين أيديهم ومن خلفهم بقدرة الله تعالى حتى عاينوا التخوم، فلما رأوا ذلك استغفوها فقال لا يكون العفو إلا بعد التوبة وأن لا تعودوا لمثل فعل رئيسكم ولا تتعرضوا لحاج ما بقيتم معهم وتعاقدا على ذلك.

ثم أشار إلى الأرض فرجعت كما كانت فكر القوم إلى أهليهم راجعين أدراجهم ودخلا على السيوطي في مسجده فقال له الشيخ بن عبد الكريم ما معك من العلوم يا عبد الرحمان؟ فقال : إني لأحصى أحاديث النبي من أولها إلى آخرها.

فقال عسى أن لا تكون كذلك فإن كنت صادقا فإني سأتلك في الأحاديث التي صح ورودها عن رسول الله فجعل يملئ عليه الحديث فيقول له لم يبلغني فيدور بسارية من سواري مسجده ثم يقبل إليه ويقول: صدقت حتى أفاده خمسمائة حديث.

فقال سيدي عمر الشيخ ما باله لا يصدقك في الحديث حتى يطوف بالسارية؟ فقال إنه لا يتمكن من رؤية النبي حتى تغيبه السارية فيراه فيسأله عن الحديث فيقول هو صحيح عني ولو أنه غاب عني طرفة عين ما عدت نفسي في المؤمنين. فمن يومئذ أقر السيوطي لابن عبد الكريم بالتقدم في العلم والولاية فأخذ كل منهما عن صاحبه الأوراد.

وكان ابن عبد الكريم لا يقول له إلا عبید الرحمان فلما ألف البرهان قال صار الطالب عبد الرحمان عالما، فلما ألف الإتقان قال: تبحر السيد عبد الرحمان في العلوم. ⁹⁰ «

13. الرحلة إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج (مكة)

قال صاحب التلائد والطرائف: « ثم توجهوا إلى الحج فحجا. » ⁹¹

الرحلة إلى المدينة المنورة

⁹⁰ . و لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد (940-2/939) و التلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد ص: 20 ،

الله أعلم بصحة ما ورد في هذين الكتابين، ولعلها من وضع بعض المغالين في حب المشايخ.

⁹¹ .المرجع نفسه ص: 221

قال صاحب الثلاثد والطرائف: « ثم انصرفا إلى المدينة برسوم زيارته فلما أشفيا على المدينة المشرفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - أرتجل قصيدته العجيبة التي مطلعها:
بشارك يا قلب هذا سيد الأمم*** وهذه حضرة المختار في الحرم
فلما وافى الروضة الشريفة هم الوكلاء بمنعه فقال:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي*** فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم

فاهتزت عند ذلك الروضة الشريفة وانفتح بابها وفر الوكلاء لعظم ما رأوا فدخل الروضة الشريفة فمكث فيها ساعة فأقبل الناس عليه فجعل يقول: لست هنا لكم فلا تشغلوني عما أنا بصدد فممن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة فإنها عين الرحمة ومنبع الحكمة وأصل الهداية. »⁹²

14. الرحلة إلى بلاد التكرور:

قال صاحب نيل الابتهاج: « ثم رحل لبلاد التكرور ، فوصل إلى بلدة ، كاغو ، واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج ، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف وألف له تأليفا أجابه فيه عن مسائل. »⁹³
ومدينة كاغو Gao تقع على ضفاف نهر النيجر ، وهي اليوم أحد مدن دولة مالي.

15. العودة إلى بلاد توات والثورة الثانية ضد اليهود

قال صاحب نيل الابتهاج و بلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود فانزعج لذلك، وطلب من السلطان قبض أهل توات الذين بكأغو حينئذ، فقبض عليهم، وأنكر عليه سيدنا أبو المحاسن محمود بن عمر إذ لم يفعلوا شيئا فرجع عن ذلك، وأمر بإطلاقهم ورحل لتوات فأدركته المنية بها، فتوفي هنالك، سنة تسع وتسعمائة»⁹⁴

4. خاتمة:

⁹² . المرجع نفسه ص: 22

⁹³ . نيل الابتهاج ص: 331

⁹⁴ . نيل الابتهاج ص: 331

ختاماً لهذه الدراسة، وضحت النتائج البحثية أن رحلات الإمام المغيلي لم تكن مجرد تنقل جغرافي، بل كانت حدثاً تاريخياً حاسماً ساهم في نشر الفكر الإسلامي وتعزيز الأطر الدينية والسياسية في المناطق التي زارها. إضافة إلى أن هذه الدراسة أظهرت أن رحلاته كان لها دوافع إصلاحية ورغبة في تجديد المنظومة الدينية والاجتماعية، وأدى ذلك إلى إنشاء جسور التواصل بين المرجعيات الدينية والحكومات المحلية.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. أبي العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.
2. أحمد بابا التمكنكي، نيل الابتهاج بتطريز الابتهاج، دار الكاتب، طرابلس ليبيا، 2000.
3. أبي عبد الله المجاري، برنامج المجاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
4. أحمد بن يحيى الونشريسي، وفيات الونشريسي، شركة نوابغ الفكر، د س ط، (2/77) ضمن موسوعة أعلام المغرب.
5. أبي الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، الشركة التونسية للتوزيع، 1978.
6. ابن فرحون، الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
7. الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
8. عبد الواحد محمد الطواح، سبك المقال لفك العقال، تحقيق مسعود حبران، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
9. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (7/517).
10. عبد الرحمن الثعالبي، غنيمة الوافد و بغية الطالب الماجد، دار ابن حزم، بيروت، 2005.
11. عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن السابع، دار الجميل، بيروت، 1992.
12. لقط الفرائضة حقق الفوائد لأبي العبا أحمد بن محمد السابق الذكر الشهير بابن القاضي (1025 هـ)، وهو مطبوع ضمن موسوعة أعلام المغرب (816/2)، (734/2).

13. محمد بن مبارك الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009.
14. غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد تحقيق محمد شايب شريف ، دار ابن حزم، بيروت 2005.
15. تعريف الخلف برجال السلف للشيخ أبي القاسم محمد بن الشيخ الحفناوي (1360هـ - 1941م)، طبع بمطبعة بيبير فونتانة الشرقية بالجزائر سنة (1324هـ - 1906م).
16. محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية مبروك مقدم.
17. مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري.
18. دوحة الناشر لمحسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن عسكر الشفشاوني (986هـ).
19. التأثير الثقافي الفكري الحاضرة تلمسان على توات في القرن 9 هـ من خلال نوازل الونشريسي - نازلة يهود توات أنموذجا.
20. البسيط في أخبار تمطيط لمحمد بابا حيدة.
21. . المراجعات بين الإمام المغيلي والإمام السنوسي، ص: 189 نشرها علمي حمدان أحمد محلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد الثالث: (1408هـ - 1988م) فاس - المغرب.
22. الحركة الفكرية في عهد السعديين للدكتور محمد حجي، (1/267-270) مطبعة فضالة (1398هـ - 1978م) المغرب، المغرب في عهد الدولة السعدية لعبد الكريم الكريم ص: 292، الطبعة الأولى (1398هـ - 1978م) الرباط.
23. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (4/98) تعليق ولدي المؤلف : جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب (1955م)، الدار البيضاء، المغرب.
24. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى بفاس سنة (914هـ)، (2/214) خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (1401هـ - 1981م)